بسم الله الرحمن الرحيم

(١٣٥)

النجم المضيء في بيان فضل العفو عن المسيء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧١] أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٤]

عن زيد بن سلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ عن ظلمهم وإساءتهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا عام، وهو ظاهر الآية.ا.هـ [١]

عباد الله: إن العفو من الأخلاق الجميلة، والصفات الحميدة التي أمر الله بها نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين قال سبحانه ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]

وقال سبحانه وتعالى ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: إن تظهروا -أيها الناس- خيرًا، أو أخفيتموه، أوعفوتم عمن أساء إليكم، فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه، فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم.ا.هـ [٢]

وقال الله تعالى ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أخذ الناس كلهم بهذه الآية لكفتهم وشفتهم فان العفو ما عفى من أخلاقهم وسمحت به طبائعهم ووسعهم بذله من اموالهم وأخلاقهم، فهذا ما منهم إليه وأما ما يكون منه إليهم فأمرهم بالمعروف وهو ما تشهد به العقول وتعرف حسنة وهو ما امر الله به وأما ما يتقي به أذى جاهلهم فالإعراض عنه وترك الانتقام لنفسه والاقتصار لها فأي كمال للعبد وراء هذا وأي معاشرة وسياسة لهذا العالم أحسن من هذه المعاشرة

---

(١) . عند تفسيره لسورة [آل عمران: ١٣٤]

(٢) . عند تفسيره لسورة [النساء: ١٤٩]

والسياسة.ا.هـ [١]

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار تحرم على كل هين لين سهل** "رواه الترمذي وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]

والعفو عز للعبد في الدنيا والآخرة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ**" رواه مسلم[٣]

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه وجهان: أحدهما: ظاهره أن من عُرِفَ بالصفح والعفو ساد وعظم في القلوب وزاد عزه.

الثاني: أن يكون أجره على ذلك في الآخرة وعزته هناك.ا.هـ [٤]

أيها الناس العفو رحمة بالمسيء، والرحمة بالخلق سبب لرحمة الله لعبده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " **الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**" رواه أحمد وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ [٥]

---

(١) . «الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه - ت غازي» (ص٧٥)

(٢) . صحيح. الترمذي برقم [٢٤٨٨] «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ١٧) برقم [٢٦٧٦]

(٣) . « بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ » برقم [٢٥٨٨]

(٤) . «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٨/ ٥٩)

(٥) . صحيح. أحمد برقم [٦٤٩٤] السلسلة الصحيحة برقم [٩٢٥]

والعفو عنهم سبب لنيل مرضات الله سبحانه وتعالى بامتثال أمره، وطلبا لعفوه وغفرانه ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعامل العبد بني جنسه في إسائتهم إليه وزلاتهم معه بما يحب ان يعامله الله به في اساءته وزلاته وذنوبه فإن الجزاء من جنس العمل فمن عفا عفى الله عنه ومن سامح أخاه في إساءته إليه سامحه الله في سيئاته ومن أغضي وتجاوز تجاوز الله عنه ومن استقصى استقصى عليه .ا.ه[١]

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال "**كان رجل يداين الناس وكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله عز وجل يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه**" رواه البخاري ومسلم[٢]

والنسائي ولفظه إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال "**إن رجلا لم يعمل خيرا قط وكان يداين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا فلما هلك قال الله له هل عملت خيرا قط قال لا إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا "قال الله تعالى "قد تجاوزت عنك**"[٣] والعفو سبب للتقوى قال تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٣٧]

---

(١) . «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/ ٢٩١ ط العلمية)

(٢) . البخاري برقم [٣٢٩٣] مسلم برقم [١٥٦٢]

(٣) . صحيح. النسائي برقم[٤٦٩٤] «الجامع الصغير وزيادته» برقم [٣٨٤١]

وبالعفو تكتسب الرفعة والمحبة عند الله وعند الناس.

والعفو والصفح سبيل إلى الألفة والمودة بين أفراد المجتمع وإشاعة الطمأنينة، والسكينة.

وهو علامة على علو الهمة ورفعة النفس وشرفها وكرامتها ورجاحة عقل صاحبه وسمو نفسه وعظيم خلقه، وهو علامة على قوة صاحبه ورباطة جأشه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: "**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**" متفق عليه(١)

فلا يعفو إلا من كان قويا النفس شديد القلب راجح العقل.

والعفو قطع لمداخل الشيطان وغلق لأبوابه، وسد لطرقه، فإنه يحرص غاية الحرص على زرع الخصام والشقاق والخلاف والتحريش بين الناس، فإذا حصل العفو أفسد عليه كيده وبار مكره وازداد غيظه، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول "**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**" رواه مسلم(٢)

والعفو إحسان على النفس وإحسان على الغير ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤]

فأحسن لنفسك -عبد الله- وأحسن لإخوانك المسلمين يحبك الله ويحسن إليك.

والعفو سبب لترابط المجتمع وتماسكه وقوته قال الله ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال:٤٦]

(١) . البخاري برقم [٥٧٦٣] مسلم برقم [٢٦٠٩]

(٢) . «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٧١١)

وكم حصل بسبب العفو من تلاحم وتآلف وتراحم وتعاطف أعظم مما يحصل بسبب الانتقام.

والعفو من صفاته الكريمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسجاياه العظيمة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : لم يكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . رواه الترمذي صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ [١]

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ نَجْدٍ فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاةِ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَاسْتَظَلَّ بِهَا، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: **"إِنَّ هذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، مُخْتَرِطٌ صَلْتًا قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قُلْتُ: اللهُ فَشَامَهُ، ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هذَا"** قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " متفق عليه [٢]

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال : **" لقد لقيت من قومك فكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت – وأنا مهموم – على وجهي فلم أفق إلا في قرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما**

(١) . صحيح. الترمذي برقم [٢٠١٦] المشكاة برقم [٥٨٢٠]

(٢) . البخاري برقم [٢٧٥٣] مسلم برقم [٨٤٣]

شئت فيهم " . قال : " فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك إن شئت أطبق عليهم الأخشبين " فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا " . متفق عليه[(١)]

بل وهي من صفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ التي وصف بها في التوراة روى البخاري في صحيحه مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عَطَاءَ بنَ يَسَارٍ سَأَلَهُ أَن يُخبِرَهُ عَن صِفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي التَّورَاةِ؟ قَالَ: أَجَلْ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا، وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ "[(٢)]

والعفو من صفات الأنبياء السابقين، قال تعالى عن يوسف عليه السلام وهو يخاطب إخوته﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف:٩٢]

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: لاَ تَعيِيرَ عَلَيْكُمْ وَلاَ إِفْسَادَ لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْحُرْمَةِ وَحَقِّ الأُخُوَّةِ ، وَلَكِنْ لَكُمْ عِنْدِي الصَّفْحُ وَالْعَفْوُ.ا.هـ[(٣)]

---

(١) . البخاري برقم [٣٠٥٩] مسلم برقم [١٧٩٥]

(٢) . « بَاب: كَرَاهِيَةِ السَّخَبِ فِي السُّوقِ» برقم [٢٠١٨]

(٣) . عند تفسيره لسورة [يوسف:٩٢]

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"[(١)]

والعفو من صفات عباد الله الصالحين قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُحين كان أقسم ألا ينفق على مسطح بن أثاثة حين خاض فيما خاض به أهل النفاق وعاتبه بقوله { وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)} النور

فقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا. متفق عليه[(٢)]

وهذا عمر الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما ثبت عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال :قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان القراء أصحاب مجلس عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً ، فقال عيينة لابن أخيه :يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه ،فاستأذن فأذن له عمر فلما دخل قال :هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل ،فغضب عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتى هم أن يوقع به ،فقال له الحر :يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]

وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى

---

(١) . البخاري برقم [٣٢٩٠] مسلم برقم [١٧٩٢]

(٢) . «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٧١١)

.رواه البخاري[١]

وروى القرطبي في تفسيره عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرقة حارة، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قول الله تعالى ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ قال لها: قد فعلت. فقالت: أعمل بما بعده ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٤] قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى. ا.هـ[٢]

وفي عهد الخليفة المعتصم سُجن الإمام أحمد بن حنبل وضُرب بالسياط حتى أُغمي عليه، وسال الدم من جسده، وكان يقول: قد جعلت أبا إسحاق - يعني المعتصم - في حل، وعفا عنه، وسجن الإمام مالك، وضرب بالسياط حتى انخلعت يده من كتفه، فعفا عمن ضربه. والمواقف في العفو كثيرة عند التتبع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَلَا أُحِبُّ أَنْ يُنْتَصَرَ مِنْ أَحَدٍ بِسَبَبِ كَذِبِهِ عَلَيَّ، أَوْ ظُلْمِهِ، وَعُدْوَانِهِ، فَإِنِّي قَدْ أَحْلَلْتُ كُلَّ مُسْلِمٍ، وَأَنَا أُحِبُّ الْخَيْرَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وَأُرِيدُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ الْخَيْرِ مَا أُحِبُّهُ لِنَفْسِي. وَالَّذِينَ كَذَبُوا وَظَلَمُوا فَهُمْ فِي حِلٍّ مِنْ جِهَتِي.ا.هـ[٣]

أسأل الله بمنه وكرمه أن يرزقنا وإياكم التخلق والتحلي به، وأن يشرح صدورنا وييسر أمورنا

---

(١) . « باب: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} » برقم [٤٣٦٦]

(٢) . عند تفسيره لـ [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٤]

(٣) . «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٥)

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الفضل العظيم والخير الواسع العميم أنعم على عباده بنعم لا تحصى ودفع عنهم من النقم ما لا يعد ولا يستقصى وتفضل عليهم بالعمل الصالح وجازاهم عليه أفضل الجزاء وأشهد أن لا إله إلا الله الملك العلي الأعلى وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي وصل بفضل ربه إلى أعلى مكان يصله الورى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن بهداهم اهتدى وسلم تسليمًا .أيها الناس :.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم أعاد عليه الكلام فصمت فلما كان في الثالثة قال "**اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة** " أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح [(١)]

فاعفوا معاشر المسلمين عن عباد الله يعفو الله عنكم وتجاوزوا يتجاوز الله عنكم، وارحموا يرحمكم الله واقتدوا بسلفكم الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، قال الحسن بنُ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو أنَّ رجلاً شتَمني في أذني هذه واعتذر في أُذني الأخرَى لقبِلتُ عذرَه. [(٢)]

وقال جعفرُ الصادِق رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن أندمَ على العفوِ عشرين مرّةً أحبُّ إليَّ من أندَم على العقوبة مرة واحدة"[(٣)]

---

(١) . صحيح. أبوداود برقم [٥١٦٤] صحيح الترغيب والترهيب [٢٢٨٩]

(٢) . الآداب الشرعية – (١ / ٣٧٥)

(٣) .[أدب المجالسة لابن عبد البر ١١٦]

عباد الله إن العفو من صفات ربنا سبحانه وتعالى وهو القادر على المؤاخذة والعقوبة لكنه سبحانه يعامل عباده بعفوه وكرمه قال سبحانه وتعالى ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء:١٤٩]

وقال سبحانه ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[النساء:٩٩]

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال: **قولي اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** "رواه الترمذي وصححه الألباني [(١)]

وينبغي للعبد أن يعلم أن هذا المسيء ما تسلط عليه إلا بسبب ذنوبه فيرجع باللائمة على نفسه ويسعى جاهدا بإصلاح خللها الذي دخل من خلاله العدو وتسلط به عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ويُعِينُ العبدَ على هذا الصبر عدّةُ أشياءَ ...أن يَشْهَد ذُنُوبَه، وأنّ الله إنما سلَّطهم عليه بذنبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠]

فإذا شهد العبدُ أن جميع ما يناله منْ المكروه فسببُه ذنوبُه، اشتغلَ بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي سلَّطهم عليه [بسببها]، عن ذَمِّهم ولَومِهم والوقيعةِ فيهم. وإذا رأيتَ العبدَ يقع في الناس إذاآذَوْه، ولا يَرجع إلى نفسِه باللوم والاستغفار، فاعلمْ أن مصيبتَه مصيبةٌ حقيقية، وإذا تاب واستغفر وقال: هذا بذنوبي، صارتْ في حقّهِ نعمةً. قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلمةً من جواهرِ الكلام: لا يَرجُوَنَّ عبدٌ إلاّ ربَّه، ولا يَخافَنَّ عبدٌ إلاّ ذنبَه ورُوِي عنه وعن

(١) . صحيح. الترمذي برقم [٥٣١٣] صحيح الترغيب والترهيب [٣٣٩١]

غيرِه: ما نزلَ بلاءٌ إلاّ بذنبٍ، ولا رُفِع إلاّ بتوبة.ا.هـ[١]

وليُعلم أن العفو لابد أن يقصد به الإصلاح فإن كان المعفو عنه لا يصلحه العفو بل يزداد عتوا وطغيانا فلا يجوز أن يعفو عنه قال الله تعالى ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١﴾ [الشورى: ٤١]

قال العلامة ابن سِعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم.

فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله.

ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ يجزيه أجرا عظيما، وثوابا كثيرا، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به.

وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

وأما مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ الذين يجنون على غيرهم

(١) . «قاعدة في الصبر» (ص٩٥)

ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم.ا.هـ[١]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والفرق بين العفو والذل أن العفو إسقاط حقك جودا وكرما وإحسانا مع قدرتك على الانتقام فتؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق بخلاف الذل فإن صاحبه يترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانة نفس فهذا مذموم غير محمود ولعل المنتقم بالحق أحسن حالا منه قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى:٣٩] فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيهم منها ذلك حتى إذا قدروا على من بغى عليهم وتمكنوا من استيفاء مالهم عليه ندبهم إلى الخلق الشريف من العفو والصفح فقال ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى:٤٠] فذكر المقامات الثلاثة العدل وأباحه والفضل وندب إليه والظلم وحرمه .ا.هـ[٢]

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أتاك رجل يشكو اليك رجلا فقل: يا أخي، اعف، عنه فان العفو أقرب للتقوى، فان قال لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل . فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى باب العفو، فإنه باب واسع، فانه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور .ا.هـ[٣]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجزاء مماثلا للعمل من جنسه في الخير والشر فمن ستر مسلما ستره الله ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن نفس عن مؤمن كربة من

---

(١) . عند تفسيره لسورة [الشورى:٤١]

(٢) . «الروح - ابن القيم» (٢/ ٦٧٨ ط عطاءات العلم)

(٣) . «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢٨٠)

كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن أقال نادما أقاله الله عثرته يوم القيامة ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن ضار مسلما ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه ومن خذل مسلما في موضع يجب نصرته فيه خذله الله في موضع يجب نصرته فيه ومن سمح سمح الله له والراحمون يرحمهم الرحمن وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ومن أنفق أنفق عليه ومن أوعى أوعى عليه ومن عفا عن حقه عفا الله له عن حقه ومن جاوز تجاوز الله عنه ومن استقصى استقصى الله عليه فهذا شرع الله وقدره ووحيه وثوابه وعقابه كله قائم بهذا الأصل وهو إلحاق النظير بالنظير واعتبار المثل بالمثل .ا.هـ[1]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

وأسأل الله أن يرزقنا وإياكم صلاح القول والعمل اللّٰهم اصرف عنا مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن الله احفظ علينا ديننا وعقيدتنا وأمننا اللّٰهم ارحم المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات اللّٰهم اغفر لوالدينا وارحمهما كما ربيانا صغارا والحمد لله رب العالمين.

(١) . «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ١٥٠ ط العلمية)